المحاضرة الأولى: مدخل إلى علم المفردات (المفهوم والنّشأة)

يجب التنبيه في بداية المحاضرات إلى أنّ الاختلاف الظاهر في تبنّي المصطلح، هو اختلاف يتّسع في كلّ اتّجاهاته سواء عند العرب القدامى أم المحدثين، أم في الدّراسات الغربية الحديثة.

ـ 1 تمهيد أهميّة البحث في المجال.

كانت أمم الحضارات القديمة على صلة وطيدة بهذا الباب من أبواب الظاهرة اللغوية، وقد أثبت الكشف العلميّ في الدرس اللّساني الحديث أنّ إشكالية اللّغة عموما قديمة قدم الوجود الإنسانيّ، فقد تحدّث سفر التكوين عن لغة موحّدة في برج بابل في العهد القديم، كما استخدم قدماء الفراعنة المترجمين في بعض شؤونهم، وليس ما أُلّف فيها من معاجم وقواميس إلاّ شاهدا على جهود تلك الأمم وقوّة حضاراتها.

ـ 2 مصطلح المفرداتية

مُفردات اللّغة ألفاظها وكلماتها، الكلمة المُفردة ليس معها كلمة غيرها، مُفردات اللّغة جميع الكلمات الموجودة في اللّغة، والإفراد في النحو خلاف التثنية والجمع.

ـ ب المفرداتية اصطلاحا

يطلق المصطلح على أحد شطري علم المعاجم، الفرع الذي يشتمل المعجمية النظرية أو (علم المفردات)، مبحثه الأساسي هو الألفاظ، دلالاتها، صلاتها، الأصول التي انحدرت منها، عائلات الألفاظ، واشتقاقاتها.

على أنّ الفرع الثاني لعلم المعاجم هو المعجمية التطبيقية ويسمى أيضا بالمعاجمية وله فروع نتعرف عليها لاحقا.

ـ الكلمة (الوحدة المعجمية)

إذا كانت الكلمة هي الوحدة الأساسية في اللغة، فقد وجب النظر إليها من زوايا عديدة متباينة، فكان علم المفردات هو العلم الذي يهتم بدراسة المفردات؛ والمفردات موزّعة في متون الكتب على مختلف فروعها، يبحث " الكلمات المفردة، ومعرفة أصولها، وتطوّرها التاريخي، ومعناها الحاضر، وكيفية استعمالها، ويدخل تحت دراسة المفردات فرع يسمى بالاشتقاق Etymology وهو يختص بدراسة تاريخ الكلمات، وفرع آخر يسمى الدلالة Semantics

ويختص بدراسة معاني الكلمات. وهناك فرع يسمى المعجم Lexicography، وهو فن عمل المعجمات اللّغوية، يستمد وجوده من علم دراسة تاريخ الكلمات، وعلم الدلالة، يضاف إلى ذلك اهتمامه ببيان كيفية نطق الكلمة، ومكان النبر فيها، وطريقة هجائها، وكيفية استعمالها في لغة العصر الحديث." وكلُّ اختلاف في تحديد المصطلح ـــ لابدّ ـــ ناجم عن اتّجاه زاوية النظر لا غير.

ـــ مصطلح المفردة في عناوين مؤلّفات علمية عربية.

وردت كلمة مفردة ومفردات لفظا في كتب ومؤلّفات علمية كثيرة كانت غاياتها متباينة لكن استقرّت على جمع مصطلحات العلوم والتعريف بها نذكر منها: كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن الجزّار القيروانيّ (ت369هـ)، تفسير أسماء الأدوية المفردة لأبي داود بن حسّان بن جلجل(ت332،384هـ)، الأدوية المفردة، لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الدّاني (ت529هـ)، كتاب الأدوية المفردة لأبي جعفر أحمد بن محمد الغافقي (ت560هـ)، المعتمد في الأدوية المفردة للملك المظفّر يوسف بن عمر بن علي التركماني(ت 694هـ)، المغني في الأدوية المفردة لابن البيطار.

ـــ مصطلح المعجم عنوانا لمؤلّفات عربية تراثية.

يشكّل القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف نقطة تحوّل كبرى في تاريخ العربية، فقد كان القرآن الكريم سببا مباشرا لتفتّق الدرس اللّغويّ في العربية، ونشأ مصطلح المعجم لأوّل أمره في كتاب الجامع للإمام البخاري (أبوعبد الله محمد بن إسماعيل ت194، 256هـ).

ـ معجم الصحابة لأبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي (ت 210هـ، 307هـ) وألّف عبد الله بن محمد البغوي (ت214هـ، 315هـ) المعجم الكبير والمعجم الصغير في أسماء الصحابة.

ـ 4 علم المفردات الموضوع والمنهج.

يسعى هذا العلم إلى القبض على جانب محدّد من الظاهرة اللّغوية وهو المفردة (الكلمة) وذلك بالوقوف على جانبيْ المعنى والمبنى، فيتم:

1ـ ربط دراسة المفردات بالمناهج والنظريات اللّسانية،

ـــ2 تحديد التعاريف والشواهد الحية التي تُستقى من اللغة الحية المستعملة

3 ـــ تحديد ترتيبات خاصة بالمفردات داخل المعجم، وبذلك يتجلّى نوع المعجم وملمحه

ـ 4 تحديد الإضافات النوعية للتعريف داخل المعجم، كالمعارف الصرفية والصوتية والنحوية والدلالية والمجازية والبلاغية والأسلوبية.

ـ 5 ـ تحديد "المدوّنة" التي يُبنى عليها المعجم بكلّ ما فيها من (مصادر ومراجع ووثائق التي تتوفر ودون إقصاء لأيّ مجال، فيتم جمع الرصيد اللّغوي الشعري والنثري والفصيح والعاميّ والتراث الأدبي والفكري والفلسفي والتقني.. وما إليه ممّا يكون مجالا للمعجم، على أنّ يتم الاهتمام بالفصيح لأسباب قومية وحضارية، والعاميّ الذي يشكّل ملامح وروافد لمتن المعجم.